جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة: 2021 – 2022

المستوى : ماستر1 السداسي : االأول التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: العمارة في المشرق الإسلامي

أستاذ المادة : أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: الطرز المعمارية للمساجد 1

عمارة المساجد (الطرز المعمارية)

المساجد ذات الأعمدة والدعامات:

يُعدّ مسجد الرسول (ص) من الجانب المعماري النواة الأولى لعمارة المساجد، وكان يحمل في ثناياه الخطوط العريضة لنمط معماري صار نموذجا يُحتذى به، كما كان إرهاصا لطراز معماري انتشر فيما بعد في كلّ بقاع العالم الإسلامي، لا سيّما في القرون الأولى للهجرة. ويتمثّل هذا النمط في الصحن الواسع، وبيت للصلاة ذي أعمدة ودعامات يأتي في مقدّمة الصحن من جهة القبلة

المسجد النبوي الشريف

شيّد المسجد في عهد الرسول (ص) في السنة الأولى للهجرة، ثم وسّع سنة7هـ من ثلاث جهات الشرقية والغربية والشمالية، فأصبح مخططه مربّع الشكل طول ضلعه 100ذراع، ويضم المسجد تسع حجرات في الجهة الشرقية، وفي الجهة الجنوبية بيت الصلاة الذي كان يتألّف من صفين من الأعمدة عبارة عن جذوع النخيل، وأمّا في الجهة الشمالية فكان يوجد بها رواق مخصص لأصحاب الصفّة، وكان للمسجد ثلاثة أبواب؛ واحد في الشمال والآخر في الشرق والثالث في الغرب.

وكانت الإضافة الأولى في عهد عمر بن الخطاب نحو الجهة الغربية والشمالية ليصبح أبعاد المسجد (140× 120 ذراعا)، وفي عهد عثمان بن عفان وسّع المسجد سنة 29هـ/ 649م، فبنيت جدرانه بالحجارة المنحوتة، وفتحت فيه أبوابا جديدة كما بنيت المقصورة، وعرف المسجد توسعة كبرى في عهد الوليد بن عبد الملك ، حيث قام عمر بن عبد العزيز والي المدينة المنورة آنذاك بزيادة مساحته وأزال حجرات الرسول (ص)، وكان الفراغ منه سنة 91هـ/708مـ، وفي هذا العهد هدّم المسجد كلّه، وأعيد بناؤه فاستخدمت الحجارة والرخام والفسيفساء والجص، وزيّن المسجد لأوّل مرّة بالكتابات، كما ارتفعت في زواياه أربعة مِآذن، وأدخل المحراب كعنصر معماري، وأيام العباسيين قام المهدي بن أبي جعفر المنصور سنة 161هـ بتوسيع المسجد نحو الجهة الشمالية، وتولى بناءه عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن شيب الغساني ولما توفي ابن عاصم تولى مكانه عبد الله بن موسى الحمصى .

شهد المسجد توسعة أخرى كبيرة في عهد المماليك سنة 655هـ\1256م، بعد أن تعرض المسجد إلى حريق سنة 654هـ، وتعرّض المسجد أيضا لحريق آخر سنة 886هـ \1481م بسبب صاعقة وأعاد السلطان المملوكي قايتباي عمارة المسجد.

ولم يشهد المسجد توسعة أخرى، إلاّ في القرن العشرين وهذا لا يعني أنّ المسجد لم يتعرّض إلى ترميم أو تعديل لبعض أجزائِه.

مسجد الكوفة:

شيد سنة 15هـ \636م من قبل سعد بن أبي وقاص، وكان مبنيا بالحجر والقصب، وأعيد بناؤه سنة 51هـ \670م من طرف زياد بن أبيه.

المسجد الأموي بدمشق:

أقيم المسجد على أنقاض معبد وثني لجوبتر، والكنيسة يوحنا المعمدان التي بناها الإمبراطور تيودور سنة 379م، ولاشك أنّ الوليد بن عبد الملك قد انتهى من هدم البناء القديم وكان إنشاؤه سنة 88هـ/707م، والانتهاء منه كان سنة 96هـ/714م، يتربّع المسجد على مساحة تقدر بـ 15229م^2.

للجامع سور مرتفع مشيّد بالحجارة المنحوتة، وهو نفس سور المعبد الروماني في الأصل وجدّدت أقسام منه في العهود الإسلامية المتتالية، وزوّدت أركانه بأبراج مربّعة استخدمت للآذان، ولم تبق منها سوى تلك الموجودة في ركني جدار القبلة، وللجامع ثلاثة أبواب رئيسية في الشرق والغرب والشمال إضافة إلى باب في الجهة الجنوبية، فالباب الغربي يسمّى بباب البريد، والشرقي باب جيرون أو باب النوفرة، وهذان البابان مقسّمان إلى ثلاث فتحات، أوسعها الفتحة الوسطى التي يعلوها عقد حدوي، ويؤدّي البابان عبر ممر إلى الصحن، وأمّا الباب الشمالي فكان يطلق عليه اسم باب الفراديس، ويتألّف من فتحة واحدة واسعة .

صحن المسجد مستطيل الشكل طوله 121،، وعرضه 48م، ويتوسّطه حوض للوضوء مغطى بقبة، وبالجهة الغربية قبّه المال، وتشرف عليه مئذنة العروس من الجهة الشمالية، وقد أعيد بناؤها في عهد صلاح الدين الأيوبي بعد تعرّضها للحريق.

يحيط بالصحن من جهاته الثلاث رواق، وكانت الجدران مكسوّة بالفسيفساء، وخلف الجدران مشاهد وزوايا وغرف، ويوجد على يسار باب البريد مشهد عثمان الذي جدّد سنة

1265م، وأصبحت اليوم قاعدة كبيرة للاستقبال، وبعدها توجد غرفة كبيرة هي مستودع الجامع، حيث يوضع أثاث المسجد وكانت تسمّى ببيت الزيت الذي كان يقدّم للحجيج، وهناك غرفة في الزاوية الشمالية الغربية، ثم فوق قاعدة المئذنة المزولة.

بعد اجتياز باب الفراديس نجد خنقاه السباطية التي كانت دارا لعمر بن عبد العزيز، ثم تصل إلى ضريح الملك الأيوبي الكامل، وفي الزاوية الشمالية الشرقية نجد مشهد الحسين وكان يسمّى مشهد زين العابدين، وقد جدّده الظاهر بيبرس سنة 1265م، ثم جدّده سليمان باشا، ونصل بعد ذلك إلى باب جيرون، وأرضية الصحن مغطّاة بالحجارة وبعد إجراء حفرية تبيّن أنّه كان مغطّى بالفسيفساء، ولا نعرف ما إذا كانت الأرضية قد تغيّرت بعد الحريق سنة 461هـ\ 1068م، أو سنة 604.

بالصحن ثلاث قباب صغيرة أولاها في الجانب الغربي اشتهرت بقبّة الخزانة، وهي عبارة عن غرفة مقبّبة ذات باب، وهي محمولة على ثمانية أعمدة مثبّتة على أرضية الصحن، وظيفتها حفظ وثائق المسجد وحساباته.

تقع القبّة الثانية في الجهة الشرقية، وكانت تسمّى بقبّة زين العابدين، ثم قبّة الساعات، يتوسّط الصحن حوض الوضوء الذي كانت تعلوه قبة ثم هدّمت مؤخرا وكانت تسمّى بالشاذروان .

بيت الصلاة مستطيل الشكل (136×34م^2)، ويتألف من ثلاثة أساكيب يفصلها مجاز قاطع، وهي الأكثر اتساعا، ويتوسطها قبّة ترتفع بحوالي 30م، وأطلق عليها اسم "قبة النسر"، وتنفتح البلاطة الوسطى نحو الصحن بواسطة باب من ثلاث فتحات، الوسطى أكثر اتساعا وفي الأعلى جبهة مثلثة على شاكلة جبهات المعابد في العمارة الكلاسيكية.

وفي الجانب الشرقي من بيت الصلاة يوجد ضريح النبيء يحيى أو القديس يوحنا، جدّد بعد الحريق سنة 1310هـ\1893م من الرخام بعد أن كان من الخشب.

يؤمن تهوية وإضاءة بيت الصلاة 44 نافذة في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي، بالإضافة إلى نوافذ المجاز وقبّة النسر، وهذه النوافذ عبارة عن شمسيات من الجص المعشق بالزجاج .

بالجامع الأموي ثلاث مآذن؛ مئذنة عيسى أو المئذنة البيضاء في الركن الشرقي ثم مئذنة الركن الجنوبي، وأمّا المئذنة الثالثة فهي مئذنة العروس.

فأمّا مئذنة عيسى فأنشئت سنة 1247م، ورممت في القرن 15م، وهي ذات بدن مربع تنتهي بغطاء مخروطي، وأمّا مئذنة الركن الجنوبي فقد تعرضت للحريق سنة 1479م وأعيد بناؤها سنة 1488م من قبل السلطان قايتباي على الطراز المملوكي، وأما مئذنة العروس فقد أنشأها الوليد بن عبد الملك متوسطة الجدار الشمالي.

يزين الجامع الأموي بدمشق فسيفساء غطت جميع الجدران وحتى الأرضيات، ومن المؤكد أن الوليد بن عبد الملك قد استعان بالفنانين المحليين في إنجازها، ولا بد أن دمشق كانت تتوفر على مصانع لإنتاج الفسيفساء، وتتضمن اللوحات الفسيفسائية مواضيع مختلفة نذكر منها رسوم القصور.

الجامع الكبير بسامراء:

أمر ببنائه المعتصم بالله 221هـ، لكن بعض المصادر التاريخية تشير إلى أن ابنه المتوكل على الله هو الذي أمر ببنائه سنة 277هـ\852م، بعد أن هدم الجامع الأول، ويوجد هذا الجامع حاليا في هيئة أطلال، إذ بقي منه جدرانه الخارجية ومئذنة الملوية ذلك لأنها بنيت بالآجر، بينما بنيت الأجزاء الأخرى بالطوب غير المحروق.

يبلغ طول المسجد (240×156م) ومخططه يمتد من الشمال نحو الجنوب، وهذا بالإضافة إلى الزيادة التي أضيفت إليه وأحيطت بسور من الجهات الشرقية والغربية والشمالية، وغطى المسجد مساحة تقدر بـ17 هكتارا، وما زالت هذه الزيادة التي ظهرت أيضا في جامع ابن طولون بالقاهرة تطرح تساؤلات عن وظيفتها، فقد تكون لنزول المسافرين من الحجاج وعابري السبيل أو لإقامة المعلمين وطلاب العلم أو من أجل عزل الجامع بعيدا عن الأسواق وضجيج المدينة.

يبلغ سمك جدرانه 2،65م، وزودت بأبراج دائرية قطرها 3،60م وعددها 44 برجا تفصلها مسافة تقدر بـ 15م، وزعت على النحو الآتي؛ أربعة في الأركان وثمانية في الضلعين الصغيرين و12 في الضلعين الكبيرين وفتحت في الجدران 26 بابا.

الصحن واسع وكانت تتوسطه بركة ماء ونافورة كما تروى المصادر، يحيط بالصحن أروقة ، أربعة في الجانبيين الشرقي و الغربي وثلاثة في الجانب الشمالي .

أما بيت الصلاة فمستطيل الشكل يمتد عرضيا، قسم إلى تسع صفوف لا يمكن اعتبارها بلاطات ولا أساكيب لعدم وجود عقود أو بوائك توضح مسارها بالنسبة لجدار القبلة.

تعد المئذنة ذات الشكل الحلزوني الوحيدة والفريدة في نوعها وهي مؤلفة من بدن أسطواني يضيق كلما زاد في الارتفاع يلتف من حولها سلم صاعد عكس أقارب الساعة وتنتهى المئذنة بغرفة أسطوانية ارتفاعها 6م، ومغطاة بقبة ويقدر ارتفاع المئذنة بحوالي 50م وذلك بباب القاعدة المربعة (31× 31م) التي ترتفع بحوالي 4م، وتقع المئذنة على محور المحراب ولكن منعزلة عن البناء.

جامع أبي دلف :

شيّده المتوكل على الله سنة 247هـ\861م حين شيد المتوكل المدينة الجديدة "الجعفرية". الجامع ذو مخطط مستطيل الشكل يمتد طوليا من الشمال نحو الجنوب (213×135م) لقد انهدمت جدرانه الخارجية باستثناء جزء من جداره الشمالي، كما بقيت أجزاؤه الداخلية التي تؤلّف ببيت الصلاة والصحن وأروقته، ذلك لأنه شيده من الآجر.

فتح في المسجد 13بابا ثلاثة في الجانب الشمالي، وستة في كل من الجانبين الشرقي والغربي، والصحن مستطيل الشكل (156×104م) محاط برواقين من الجانبين وثلاثة من الجانب الشمالي.

أما بيت الصلاة فيتألف من أسكوبين موازيين لجدار القبلة، وفي الأمام والباقي إلى غاية الصحن عبارة عن بلاطات.

المئذنة شبيهة بالملوية، لكنّها أصغر حجما، وقد تم ترميمها، وتتألّف من قاعدة مربعة، طول ضلعها 11,02م وارتفاعها 2,5م.

جامع ابن طولون:

يقع في ميدان ابن طولون بالقطائع في القاهرة، شيد الجامع حسب اللوحة التأسيسية التي عثر عليها ضمن حفائر لجنة حفظ الآثار في صحن الجامع سنة 256هـ\878م من قبل أبو العباس أحمد بن طولون، وقد تعرّض الجامع للترميم والإصلاح، حيث أجري الخليفة الفاطمي المستنصر بالله إصلاحات عليه سنة 470هـ\1077م، ونجد ذلك في لوح رخامي مثبت فوق الباب بسور الزيادة البحرية، وباشر هذه العملية بدر الجمالي، ومن أهم أعمال الترميم أيضا ما تم في عهد السلطان حسام الدين لاجين سنة 696هـ\1296م، وكما أجريت ترميمات أخرى أثناء القرن 19 و20 من قبل لجنة حفظ الآثار.

يتربع المسجد على مساحة مربعة طول ضلعها 162,50م، يشغل الجامع مساحة مستطيلة الشكل (137,80×118,10م)، يتألف الجامع من صحن وبيت الصلاة.

والصحن ذو تصميم قريب من المربع (92,35×91,80م) يحيط به رواقان من ثلاث جهات، ويحمل السقف سلسلة من الدعامات مدعمة بأعمدة في أركانها بواسطة عقود مدببة، ويتوسط الصحن ميضأة مغطاة بقبة.

يتقدم الصحن بيت للصلاة ذو تصميم مستطيل الشكل، ويتكون من خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة.

تأخذ المئذنة موقعها في الزيادة بالجبهة الشمالية وتشكل أهد أبواب الجامع، وهي من الطراز المركب ويبلغ ارتفاعا حوالي 40,44 م تنقسم إلى ثلاثة أجزاء الجزء السفلي ذو قاعدة مربعة، والجزء الثاني مثمن الشكل، وأما الجزء العلوي فأسطواني، ويتم الصعود إلى الأعلى عن طريق سلم يلتف حول المئذنة من الخارج، كما هو الشأن في الجامع سامراء الكبير.

يضم الجامع خمسة محاريب جصية صماء، ففي البائكة الثالثة مما يلي الصحن محرابان مسطحان، فأما الأيمن فيعود إلى عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وأما الثاني فيعود إلى السلطان لاجين ،ويوجد في منصف البائكة الرابعة، ومما يلي الصحن محرابان آخران ربما يعودان إلى القرن 4هـ\10م. والمحراب الخامس يقع إلى يسار المحراب الرئيسي للجامع، ويعود إلى عصر المماليك حوالي القرن 8هـ\14م.

ويتميز جامع ابن طولون بزخرفته الحصية المتميزة التي تغطي بطون العقود وما حولها و النوافذ والمحاريب وهي من طراز سامراء.

جامع الأزهر:

عد أوّل جامع شيد مع تأسيس القاهرة، أنشأه جوهر الصقيلي بأمر من السلطان الفاطمي المعز لدين الله سنة 359هـ 970م، وكان الفراغ منه سنة 361هـ\972م، وتحول إلى جامعة إسلامية.

عرف الجامع توسعات وتعديلات متتالية غيّرت من ملامحه القديمة، حيث قام الحاكم بأمر الله بتجديده سنة 400هـ/1009م، لم يبق من ذلك التجديد سوى مصراعان من الخشب يحملان كتابة تشير إلى تلك الأعمال، وفي سنة 544هـ\1149 أضاف الحافظ لدين الله

رواقا يحيط بالصحن من جوانبه الأربعة وأقام قبة عند نهاية المجاز القاطع مما يلي الصحن.

عرف الجامع أيضا تجديدات في العصر المملوكي، ففي سنة 665هـ/1366م أمر الظاهر بيبرس بصنع منبر لم يبق منه إلا لوحته التذكارية، وفي سنة 709هـ/1309 بنا الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري المدرسة الطيبرية الموجودة على يمين الداخل إلى الجامع، وفي سنة 740هـ\1360م أضاف الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد للجامع المدرسة الأقبغاوية على يسار الداخل إلى الجامع، وفي سنة 761هـ\1340م قام الأمير سعد الدين كما يشير الحمدار الناصري إلى بعض أجزاء الجامع، ولا سيما سقوفه وجدرانه، كما أنشأ عند الباب الجنوبي للجامع سبيلا وكتابا، وفي سنة 844هـ/1440م أنشأ الأمير جوهر القبقبائي المدرسة الجوهرية في الطرف الشمالي الشرقي عند باب السر لجامع الأزهر.

وفي سنة 873هـ\1468م أمر السلطان قايتباي بهدم باب الجامع الكبير العربي الذي كانت تعلوه المئذنة وتجديده، وأقام على يمينه مئذنة ذات ثلاث دورات وزين المدخل بنقوش وكتابات كوفية بديعة، وفي سنة 915هـ/1510م أمر السلطان قنصوة الغوري ببناء مئذنة الجامع العالية التي امتازت بتكسية بدنها في الدورة الثانية بالقشاني، كما يوجد سلمان صاعدان في الدورة الأولى والثانية وتنتهي قمتها برأسين.

شهد الجامع أيضا أعمال الصيانة والترميم والزيادة في العهد العثماني، وأهمها تلك التي قام بها عبد الرحمان كتخدا سنة 1167هـ\1753م، حيث زاد في مساحة الجامع بشكل كبير.

وتمت أعمال أخرى في عهد محمد علي، وسعيد وإسماعيل وتوفيق الخديوي، وأما الخديوي عباس حلمي الثاني فقد اختار المدرسة الأقبغاوية لينشأ فيها مكتبة الأزهر.

أما جامع الأزهر القديم فمخططه حسب كرزويل كمخطط الجامع الأموي بدمشق، حيث كان يتألف ببيت الصلاة من خمسة أساليب يقطعها بلاطة وسطى مستعرضة تتقدمها أمام المحراب قبة، وكانت هناك قبتان في ركني رواق القبلة، وقد تم إزالتهما في التوسعة، وتحمل الأعمدة الحجرية عقودا مذببة.

كان الصحن محاط في الجانبين بأروقة عددها 11 رواقا وأما المؤخرة فكانت تتكون من ثلاثة وقد أضيف أمام كل هذا رواق يحيط بالصحن من جميع جهاته، ويعتقد أنه

أضيف في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين لله (526-544هـ\1121-149)، ويتوج الواجهات شرفات مسننة، ويؤدي إلي داخل الجامع مدخل تذكاري ضخم على محور المحراب القديم وتعلوه قبة مزينة بزخارف حصية.

كان الجامع وقت إنشائه يتألف من صحن مستطيل تحيط به من الجنبين عبارة عن امتداد لأساليب بيت الصلاة ورواق من المؤخرة، أما بيت الصلاة فكان يتكون من حيث أساليب موازية لجدار القبلة يقطعها مجاز قاطع في الوسط وتأخذ ثلاث قباب موضعها في ركني الأسلوب الأول وأمام المحراب وكانت المئذنة التي تشكل المدخل الرئيسي على محور المحراب.

جامع الحاكم بأمر لله:

يقع عند نهاية شارع المعز لدين الله (الجمالية) ملاصقا لباب الفتوح في سور القاهرة، وقد كان عند بداية إنشائه خارج أسوار القاهرة، وأصبح داخل الأسوار عندما جدد بدر الدين الجمالي الأسوار سنة 485هـ/1022م.

أمر ببنائه الخليفة الفاطمي العزيز بالله بن المعز لدين الله سنة 380هـ/990م، ولكنّه لم يتم بناؤه، بل كان ابنه الحاكم بأمر الله هو الذي أتم بناؤه سنة 393هـ/1003م، وأكمله سنة 403هـ/1013م،

يشبه جامع الحاكم في تصميمه جامع ابن طولون، وشيّد بالآجر ما عدى المئذنة التي كانت من الحجر، والعقود الحدوية المدببة التي تستند على دعامات مستطيلة مدمجة في أركانها أعمدة.

يتكون بيت الصلاة من خمس أساكيب موازية لجدار القبلة، والصحن مربعا يحيط به ثلاثة أورقة من المجنبتين، ورواقان من المؤخرة، يقطع الأساكيب بلاطة وسطى، بحيث تقسّم بيت الصلاة إلى قسمين متساويين.

يمتاز الجامع بمدخله التذكاري البارز، وقبابه الثلاثة التي تأخذ موقعها أمام المحراب وفي الركنين الشرقي والجنوبي، تبدو المئذنتان اللتان تأخذان مكانهما في الركنين الشمالي والغربي على هيئة برجين، وقد تمت تغطيتهما بالحجارة بهذا الشكل بعد بضع سنوات من بنائها، والمئذنة الغربية مكونة في الداخل من قسم مربع يعلوه قسم مثمن يتناقص كلما زاد في الارتفاع، وأمّا المئذنة الشمالية فقطاعها السفلي مربعا أيضا، ويعلوه قسم أسطواني، والقسم

العلوي للمئذنتين فتم تجديدهما بالآجر في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون، وهما على شكل طبقات مثمنة الشكل مزودة بالمقرنصات وتنتهي بقبة محزوزة .

تتوج جدران الجامع شرافات مسننة، ويمتاز الجامع بزخارفة الجصية وشمسياته.